الفصل الأول

أزمة الإنسانية

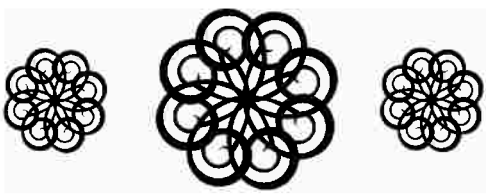

إنها القمة التى لم تطئها قدم للبشرية من قبل ،تلك النقطة التى وصلت إليها حضارة الغرب اليوم ، ولكنها القمة التى ليس بعدها إلا الأفول والذبول والغروب والانكسار ، إن حضارة الغرب تقف اليوم على هذه القمة وحدها تنظر إلى الناس من عل ، فتخطف أبصارهم ، وتأسر قلوبهم ، وتدغدغ مشاعرهم ، باعتبارها النموذج الأمثل ، والمثل الأكمل ، وهذا من أهلها غرور ، ومن غيرهم غفلة وخنوع ؛ لأن هذه الحضارة ليست فى عمر الزمان إلا كسحابة صيف يوشك أن تنقشع ، وحلم وسَنْان شرع ينفض عن عينة الكَرَى ، وهذه محاولة لإزالة الركام المترسب فوق هذه الحقيقة وإسقاط ورقة التوت التى تستتر بها هذه الحضارة .

انتصارات علمية :

ضخمة هى تلك القفزات التى تشهدها البشرية اليوم فى مجال العلوم ، وعظيمة هى تلك الخطوات التى خطتها فى كل جوانب الحياة ، ويرجع الفضل فى ذلك كله – بعد فضل الله سبحانه – إلى تلك الحضارة ، لا ينكر أحد ذلك ، فإن الإنكار هنا مكابرة لا تليق بطالب الحق الذى يجب أن يقر إقراراً بهذه الحقيقة ، حقيقة أن هذه الحضارة قد حازت قصب السبق في ميدان العلوم المختلفة ، وهذا مأشار إليه سيد قطب رحمة الله تعالى بقوله من زمن بعيد: (**لقد أحرزت البشرية عن طريق العلم انتصارات ضخمة فى عالم الصحة والعلاج من الأمراض الجسمية فكشفت من الأدوية ووسائل التشخيص والعلاج مايعد انتصارات رائعة ، وخاصة بعد كشف مركبات السلفا والبنسلين والمايسين ، ولقد حققت فى عالم الصناعة والإنتاج مايشبه الخوارق .. وماتزال فى طريقها صعداً فى هذا المجال ، ولقد أحرزت انتصارات باهرة فى كشوف الفضاء والأقمار الصناعية ومحطات الهواء ومراكب الفضاء ، وماتزال فى الطريق**)[1].

(1) نقلا عن : ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، صـ238 ، الشيخ / أبو الحسن الندوى ،ط 10، سنة 1977م ، المركز الإسلامى للطباعة والنشر .

ويرحم الله سيداً ، فقد شهدت البشرية تطوراً خطيراً ونمواً كبيراً فى هذه المجالات ذاتها ، خلال العقود الأربعة الأخيرة التى أعقبت رحيله ، وهى نهاية الألفية الثانية ، إنه النمو الذى حقق لجسد الإنسان راحة ما بعدها راحة ، ومنحه من وسائل الترفيه والاسترخاء ما لا يخطر على قلب بشر ، كل هذا ندركه تماماً ونعرفه، ونؤمن أنه انتصارات تحققت ، وإنجازات وقعت، ولكن يبقى التساؤل الأهم عن أثر تلك الإنجازات والفتوحات فى حياة البشرية ، وعما قدمته للإنسان كإنسان يطلب الأمن ، ويرغب فى السكينة ، ويبحث عن السعادة ، هذا هو التساؤل القلق ، والاستفهام الحائر ، والطرح الهائم على وجهه يجوب الأرض من جوانبها الأربع ؛ ليبحث عن جواب ، وما هو ببالغ جواباً فى ظل هذه الحضارة ؛ لأنها فى الحقيقة لا تملك الجواب .

هزئم نفسية :

إن الواقع الذى يدركه القاصى والدانى ، والحق الذى يشهد به القريب والبعيد هو أن هذه الحضارة قد عجزت كل العجز أن تحقق للإنسان ما يرجوه من الأمن ، ومايطلبه من السكينة ، فعلى قدر الانتصارات التى حققتها فى مجالات العلوم ، والقفزات الهائلة والآلات ، كانت تقريبا – إن لم تكن أشد – الهزائم فى مجال النفس ، والسقوط فى ميدان القيم ، والانحلال فى عالم الأخلاق ، والانحطاط فى دنيا الفضيلة ، حتى خنق دخان المصانع روح الإنسان فى الغرب والشرق على السواء ، وقتلت الآلة صانعها ومهندسها ، وتكدست أكوام الإنتاج على جسد المجتمع الغربى فسحقته ، وتكومت النقود أهرامات على قلب الإنسان الغربى فخنقته ، وانطلق شعاع الذرة فأباد الرحمة وقتل كل قيمة فى أعماق الإنسان ، كل ذلك كان ، بل أعظم من ذلك كان ولا افتراء ، وهذا شاهد من أهلها يشهد بالحق وهو بها أعلم .

شاهدة من أهلها :

إن العقول التى ملكت زمام العلوم ، وسخَّرت قوى الكون بشكل غير مسبوق لم تكن للأسف على مستوى من الأخلاق يؤهلها لإسعاد البشر وجلب الأمن ونشر السلام ؛ لأنها لم تحسن استخدام تلك الوسائل ، وإنما تعاملت معها بعقول قاصرة ، وقلوب غاضت فيها معانى الرحمة ، ونفوس جفت فيها ينابيع الخير ، وهذه شهادة واحد من

أرباب تلك الحضارة لعلها تجلى جزءاً من الحقيقة ، وتزيل الغشاوة عن أبصار خلبها بريق تلك الحضارة ،وأغراها لمعانها ، يقول الأستاذ (جود) الإنجليزى: (**إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ،ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش**)[1].

وياله من تصوير بارع ورائع لحال حضارة عرجاء تخطر بقدم واحدة، وعوراء تنظر بعين واحدة، فهي تملك في يدها القوة ومفاتيحها، ولكنها تتعامل معها بعقل طفل يحبو، وسلوك وحش لا يرحم ولا يعرف الرحمة، ويواصل الرجل شهادته، فيقول في موضع آخر:(**لقد استطعنا أن نسافر بسرعة زائدة من مكان إلى مكان، ولكن الأمكنة التي نسافر إليها قلما تصلح للسفر وقد زويت الأرض للرحالين، وتدانت الأمم، ووطئ بعضها عتبة بعض، ولكن كان نتيجة ذلك أن توترت العلاقات بينها، وأصبحت أسوأ مما كانت، أما المرافق التي استطعنا بها أن نتعارف بجيراننا فقد حشرت العالم في الحرب..انظر إلى الطائرة التي تحلق في السماء يخيل إليك أن صانعيها كانوا في علمهم وصفاتهم فوق البشر، والذين طاروا عليها أولاً لا شك أنهم كانوا في علو همتهم وعزمهم أبطالاً مغاوير، ولكن انظر الآن إلى المقاصد التي استعملت لها الطائرة، وتستعمل لها في المستقبل، إنما هي قذف القنابل وتمزيق جثث الإنسان، وخنق الأحياء، وإحراق الأجساد، وإلقاء الغازات السامة، وتقطيع المستضعفين الذين لا عاصم لهم من هذا الشر إربْاً إربْاً، وهذه هي مقاصد الحمقى أوالشياطين**)[2].

وبالطبع لا يشك المرء لحظة أنها مقاصد الشياطين لا الحمقى، فالأحمق ربما لا يعرف لذلك سبيلاً، وإزاء هذا الفصام النكد والمسافات البعيدة بين قوة هذه الحضارة وأخلاقها، لايملك المرء إلا أن يردد مقالة فليسوف هندي لرجل من أبناء الحضارة الغربية حيث قال له:(**إنكم تقدرون أن تطيروا في الهواء كالطيور، وتسبحوا في الماء كالسمك، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض**)[3].

---

(1) نقلا عن : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، صـ238 ، الشيخ / أبو الحسن الندوى ،ط 10، سنة 1977م ، المركز الإسلامى للطباعة والنشر .

(2) المرجع السابق، ص240.

(3) المرجع السابق، ص239.

والمشي في الأرض هو مهمة الإنسان، ولكن هذه الحضارة قد سحقت الإنسان، واختفت معاني الإنسانية خلف دخان مصانعها فلا تكاد تجد فيها إنساناً.

إقبال ناقد بصير:

لقدكان من الممكن لهذه الفتوحات العلمية، والقفزات الهائلة في عالم التكنولوجيا أن تعود على الإنسان بالخير، وعلى الإنسانية بالإحسان والبر لو أن أهلها والقائمين عليها استخدموها بعقل بشر وقلب إنسان، ولكن للأسف فإن كل هذه الإنجازات قد وجهت اتجاهاً آخر، واستخدمت استخداماً سيئاً، فعادت وضررها أكبر من نفعها فهي كالخمر التي قال الله سبحانه عنها وعن الميسر: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة : 219] .

أوهي كالسحر الخادع الذي يضر ولا ينفع، حيث قال الله تعالى فيه: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة:102]. لقد لاحظ فليسوف الإسلام (**إقبال**) رحمه الله جوانب الضعف في هذه الحضارة وفي تركيبها، ولاحظ الفساد الذي يسري في عروقها، وعلل كل ما وصلت إليه من انحطاط، وما أحرزته في دنيا الرذيلة من سقوط وفوضى لكون روحها ملوثة غير عفيفة، وهو الأمر الذي أدى إلى تجردها من الضمير الطاهر، والفكر السامي، والذوق السليم، وتسلط عليها الخوف والقلق الدائم، يقول الأستاذ إقبال رحمه الله:(**إن شعار هذه الحضارة : الغارة على الإنسانية، والفتك بأفراد النوع البشري، وإن شغلها الدائم التجارة، إن العالم لا يسعد بالسلام والهدوء وبالحب البرئ النزيه، والإخلاص لله، إلا حين تنهار هذه الحضارة الجديدة**)[1].

إن الرجل رحمه الله كان عالماً بحقيقة هذه الحضارة، مدركاً للمصير المؤلم الذي تسوق الإنسان إليه، هذا المصير الذي حددته تلك الحضارة هدفاً لنفسها، وهو أن ينسلخ الإنسان من إنسانيته؛ ليصير بعدها كالحيوان أو هو إلى الحيوان أقرب، وتلك أكبرجرائم هذه الحضارة في حق الإنسان. يقول إقبال رحمه الله محذراً من هذه الحضارة، ومبيناً العواقب الوخيمة التي تترتب على الاغترار بها والانسياق وراءها:(**إياك**

(1) نقلاً عن: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية،ص83، أبو الحسن الندوى، دار البشير.

والحضارة اللادينية التي هي في صراع دائم مع أهل الحق، إن هذه الفتانة تجلب فتناً، وتعيد اللات والعزى إلى الحرم، إن القلب يعمى بتأثير سحرها، وإن الروح تموت عطشاً في سرابها، إنها تقضي على لوعة القلب بل تنزع القلب من القالب، إنها لص قد تمرن على اللصوصية فيغير نهاراً وجهاراً، إنها تدع الإنسان لا روح فيه ولا قيمة له)[1].

هذا هو المصير الذي ينتظر الإنسان في ظل هذه الحضارة الفاتنة، إنها حضاة خادعة، يجد الإنسان في أحضانها كل شئ، ويملك في ظلالها الموهومة كل شئ، ولكنه مع كل ذلك حين يروح يبحث عن نفسه في هذا الزحام فلن يجد لها أثراً، ويصبح من يبحث عن الإنسانية في هذه الحضارة كمن رأى ماء في صحراء، فانطلق يلهث نحوه، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، وإذا هو سراب في سراب.

الإنسان الطفل:

إن حضارة الغرب قد جلبت للبشرية شقاءً ما بعده شقاء، وحولت حياته إلى نار لا تحتمل، وجحيم لا يطاق، فإذا الإنسان في ظلها بقايا إنسان، حيث ذهبت نفسه حسرات، وتفرغت روحه من كل معنى جميل، وقيمة أصيلة، تحت وطأة الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ العقلي والجنسي، وغيرها من العلل والآفات التي تنخر في عظام هذه الحضارة، وتفتك بروح هذا الإنسان، إنه الإنسان الطفل بكل ما تحمل الكلمة من معنى- مع الفارق الواضح بين فطرة الطفل النقية وفطرة إنسان هذه الحضارة الملوثة- فإنسان هذه الحضارة تحول إلى طفل أمام ما يملك من أشياء، وما يحوز من آلات و أدوات وإنجازات، تحول إلى طفل يستحق أن نشفق عليه؛ لأن الزمام أفلت من يده، فأصبح لا يدرك ما يدور حوله، وإن اصطنع الأمن، وتوهم السعادة، وانتشى بما يملك في سذاجة وغفلة وبلاهة،و يوشك أن يهلك نفسه. يقول الأستاذ البهي الخولي رحمه الله عن هذه الحضارة وإنسانها: (**إنه الإنسان الطفل وإن بلغ من العمر ما بلغ ، وإنها الإنسانية الأولى وإن قطعت من الأجيال والأحقاب ما قطعت ، هى الطفولة التى تقتضيك أن ترثى لصاحبها وتعطف عليه ، الطفولة التى لا تفهم**

(1) المرجع السابق،ص84.

مايدور في محيطها الصغير ، وتنفض يدها عما يدور بين الرجال ذوى المواهب الكبار ، انظر إلى الطفل يرى رجالاً يتحدثون فى شأن ما فيسمع كلامهم ، ولكنه لا يفقهه ولا يروقه فيعرض عنه ، فإذا رأى أطفالاً يلعبون أو يتحدثون أسرع إليهم وفهم عنهم وذاب فيهم وفرح بهم) [1] .

حضارة لا تلائم الإنسان :

لقد أصبح من المسلمات الفعلية عند كثير من العلماء اليوم أن حضارة الغرب لم تكن يوماً تلائم الإنسان ، ولن تكون كذلك فى يوم ما ، وكيف يحدث بينها وبين الإنسانية توافق وانسجام ، وهى حضارة عوراء تنظر إلى الإنسان نظرة أحادية ،فتزين جسده بما بهر وأغري من الثياب ، فى الوقت الذى تُعَرِّى روحه من كل معنى جميل وخلق نبيل ، كيف تلائم الإنسان وهى تنظر إليه بعين واحدة ، فتطعم بدنه مالذَّ وطاب من الطعام ، وتذيق نفسه لباس الجوع والخوف ، إن هذه الحضارة يمكن أن تلائم أى كائن آخر ، أما أن تلائم الإنسان فهذا لا أمل فيه ولا رجاء ؛ لأن بينها وبين فطرة الإنسان أمداً بعيداً شاسعاً و برزخاً عميقاً فلا يلتقيان ، إنها حضارة لا تعرف حقيقة الإنسان ، ولا تدرك معنى الإنسانية ، وقد بلغ جهلها بالإنسان مداه ؛ لأنها (**قامت دون معرفة بطبيعته ، وسارت فى طريقها دون اعتبار لخصائصه ،ودون اعتبار كذلك لما تنزله به من ويلات ، وفى الطريق أهدرت خصائصه كفرد ،وأهدرت خصائص الذكورة والأنوثة فى سبيل توفير إنتاج ضخم تعود أرباحه إلى عدد محدود من الجشعين ، وفى أحسن الحالات فى سبيل تيسيرات مادية ورفاهية مشكوك – على الأقل – فيما إذا كانت ذات فائدة حقيقية للإنسان ، مقطوع بدون شك بأنها لا تساوى ما أهدر فى سبيلها من إنسانية الإنسان)** [2] .

لأجل كل ذلك فهى حضارة تلائم كل شئ فى الوجود إلا الإنسان .

حضارة عرجاء:

لأجل كل ماسبق فإن أجمع وصف لهذه الحضارة هو أنها حضارة عرجاء ، وهى فى عرجها تخطر بقدم واحدة ، لاتعلم من الإنسان سوى أنه قبضة من طين الأرض ،

---

(1) تذكرة الدعاة ، صـ143 ،ط 8 ،سنة 1987م ، دار التراث

(2) الإسلام ومشكلات الحضارة ، صـ118 ،سيد قطب ،ط10 ،سنة 1989م ، دار الشروق .

وأن طعامه وشرابه مايخرج منها ، وزاد طينها بَلَّةً أنها مع عرجها هذا عوراء تبصر الإنسان جسداً ، وتعمى عنه روحاً ، وترى فيه مادة ، وتغفل عنه نفساً لها أشواق وآمال ، ومن أجل ذلك فهى عاجزة كل العجز عن أن تنفخ في الإنسان الروح ، أو أن تمده بأسباب الحياة ، وسيظل الإنسان فى زمانها يفتقد النور الهادى الذى يكشف له حقائق الأشياء ، ويفك له رموز الحياة وأسرار الوجود (**لقد خلت حضارة الغرب علمياً من كل منهاج ووسيلة لإيقاظ الضمائر وتنمية الحواس الباطنة ؛ لأنها لاتعترف بكيان الإنسان الباطنى ، وما له من خصائص فياضة بالخير والكرامة ، وماله من ملكات تبصر الخلق مسنداً إلى الخالق ، وتفترضه حيواناً مغلق الباطن كالآلة الصماء ، فكيف تبلغ الإنسانية رشدها ، وتنال حظها من النور والعلم الصحيح مادامت تجهل أن الرشد في القلوب لا فى المعدات ، وأن النور في البصائر لا فى الأبصار**)[1] .

حضارة تتسم بالجهل:

لقد قدَّمت حضارة الغرب لجسد الإنسان خدمات جليلة وارتفعت به فى ميدان المادة إلى سماء لا تطاولها سماء ، ولكنها فى نفس الوقت

– وكما أسلفنا – ألقت روحه فى غيابة الجب فلم تجد من يلتقطها ، فهى سجينة أسيرة معذبة ، تئُن وتشكو وتتألم ، وهذه الأحادية فى النظر إلى الإنسان تؤكد أن هذه الحضارة جاهلة بحقيقة الإنسان ، ومعرفتها به ناقصة ، لا تتعدى معرفة الشكل فقط، ولا تزيد عن معرفة الأجزاء التى يتكون منها جسمه ، أما حقيقة الإنسان، فما زالت بالنسبة لهذه الحضارة لغزاً يحتاج إلى حل (**إن الإنسان لم يظفر بعد ب(علم الإنسان)** ، **وحقيقة إننا نعرف الكثير عن الجزء المادى فى جسم الإنسان ، ولكن الحقيقة الأقوى أننا نجهل (الإنسان) الذى يدير هذا الوجود المادى ، وهذا هو السبب فى أن الحياة لا تزال لغزاً بالنسبة للإنسان ، ومن المؤكد أنه لايمكن تعمير الحياة وبناؤها على الوجه الصحيح دون اكتشاف هذا اللغز**)[2] .

---

(1) تذكرة الدعاة ، صـ150 ، البهى الخولى ، مصدر سابق.

(2) الدين فى مواجهة العلم ، صـ 87 ، وحيد الدين خان ، ط4 ، سنة 1987م ، دار النفائس.

إن الإنسان فى حقيقته ليس هو الكيان الذى يسعى ويتحرك فقط ، بل إن له كذلك بعداً آخر غير مرئى هو الذى يجب أن تتوسع معرفتنا به ، ويزداد إدراكنا لـه ، ورغـم جهود الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمفكرين والشعراء التى بذلت للوصول إلى حقيقة الإنسان ،إلا أن بعض الجوانب في حياة ذلك الكائن لا تزال لغزاً يبحث عن حل ، وهو مايؤكد أن الإنسان كمخلوق ثنائى التركيب ، مزدوج التكوين ، لايـزال في حاجـة إلى بحث ودراسة (**لقد أصبح جلياً أن تقدم العلوم المتعلقـة بالإنـسان لا تكفـى لإشـباع احتياجاتنا عنه وبإيجاز شديد : إن علمنا عن ذاتنا لا يزال في حالة بدائية**)[1] .

حضارة تحتقر الإنسان:

لم توجد بعد – وما أظنها سوف توجد – حضارة تمتهن الإنسان وتحتقر خصائصه كتلك الحضارة التى تبسط على الأرض أجنحتها ، وتغرى الناس بسحرها ، وتسحرهم بإغرائها ، إن الذى يدقق النظر فى فلسفة تلك الحضارة ، ويعاود التدقيق يتضح له بكل يسر أن صناعها والمنظرين لها قد أخطأوا فى حق الإنسان مرتين ؛ مـرة عنـدما جهلـوا خصائصه ، وتجاهلوا فطرته ، ومرة أخرى عندما لم تتوافر لديهم الرغبة فى احترام هذا المخلوق وتكريمه ، يقول سيد قطب رحمة الله : (**ولكن صانعى هذه الحضارة الحديثة لم يكن لديهم العلم بحقيقة هذا الإنسان وخصائصه ، كـما لم تكـن لـديهم الرغبـة فى احترامه وتكريمه ، لم يكن لديهم العلم ؛ لأن الحضارة بدأت ونمـت خـلال القـرون الثلاثة الأخيرة بينما الجهالة المطلقة بالإنسان لا تزال قائمة فى هذه اللحظة ، وليس هناك ماهو صحيح وثابت عنه إلا ماأخبر به خالقه العظيم ، والحضارة المادية الحديثة نشأت فى جو الشرود عن الكنيسة ، والنفور من ظلها ومن ظل الدين كل الدين.**

ولم تكن لديهم الرغبة فى تكريمه ؛ لأن أى محاولة لتكريم الإنـسان كانـت سـتذكر بمركزه الذى يعطيه له الدين ، وكل شئ كان جائزاً فى أوروبا إلا أن تجئ سيرة الدين ، وأن تكـون لهـذا الـدين أيـة علاقـة بأوضـاع الإنـسان المدنيـة وبـالنظم الاجتماعيـة والاقتصادية وبعلاقات العمل وارتباطاته وطرائقه الفنيـة)[2] .إذن فقـد جمعـت هـذه

(1) المرجع السابق ، صـ87.

(2) الإسلام ومشكلات الحضارة ،صـ109 ، سيد قطب ، مصدر سابق .

الحضارة بين السوأتين ؛ بين الجهل بالإنسان وبحقيقته وبخصائصه ، وبين الرغبة فى احتقاره وامتهانه والنزول به من أفق الإنسان الأكمل إلى دَرَك الحيوان ، بل الشيطان الأسفل ، وحضارة هذه طبيعتها وتلك فطرتها ، لا يمكن لها أن تقدم للإنسان الحياة الهادئة ، والاستقرار الدافئ ، ولا يمكن لها أن تقدم للإنسانية السلام المطلوب والأمن المنشود .

حضارة الدمار :

إن من مقررات العقول السليمة أن الثمرة من جنس الشجرة لا محالة تخرج ، ومن ثَمَّ فماذا ينتظر المرء من حضارة تقوم على عبادة اللذة ، وتسجد للمتعة ، وتقدس الهوى والشهوة ، ولا تقيم رأسًا لخلق ، ولا ترفع راية لقيمة ، إن القاعدة القرآنية واضحة ، والقانون الربانى صادق وصارم يقول الله سبحانه :﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[1]

والحضارة الخبيثة لا يكون نبتها إلا رديئاً ، ولا يكون ثمرها إلا نكداً . ولا يمكن لإنسان أن يقف على حقيقة التدهور الذى لحق الإنسان فى ظل هذه الحضارة ، والصفحات التالية تمثل إشارات فقط ، قد تصل بالمعنى إلى من يهمه الأمر ، حتى يدرك الجميع مدى ما تحمله هذه الحضارة للإنسان من هلاك ، وما تقدمه له من دمار .

1 - الانحلال الخلقى :

إن أصدق وصف لهذه الحضارة وللعصر الذى نعيش فيه هو أنه العصر الذى خلا تمامًا من كل معيار خلقى ، وتجرد نهائياً من كل معنى للفضيلة ، وحسب المرء منه أنه مايزال يقرأ كل يوم عن مدى السقوط الذى لحق بالإنسان فى ظل هذه الحضارة ، والاختلال الذى أصاب مزاج أربابها ، فى مثل قضية الشذوذ وزواج الرجل بمثله والمرأة بنظيرتها مع مباركة الكنيسة لذلك وتشجيع القائمين عليها ، وأظن أن ذلك يكفى تدليلاً على مدى الانحلال الخلقى الذى اجتاح هذه الحضارة ، وسقط فيه إنسانها البائس الهارب من نفسه ، وبين يدى الآن إحصاءات وأرقام مفزعة ، لا أريد

---

(1) الأعراف : 58 .

تسجيلها – رفقا بالقارئ – ولكنه أمر لا بد منه – أو من بعضه على الأقل – لأنه يؤكد أن المجتمعات الغربية لازالت تواصل سقوطها من سَّيئ إلى أسوأ ، وتزداد كل يوم سوءاً ، يقول الدكتور يوسف القرضاوى – أكرمه الله – **(كنت فى زيارة للندن منذ بضع سنوات ، وكان معى صديق معه أسرته ، فذهب يوماً إلى حديقة (هايد بارك) الشهيرة ، ومعه طفلته الصغير ة ، فوجد شاباً وفتاة فى وضع جنسى مكشوف ، فسألته طفلته ! ماذا يفعل هؤلاء ياأبى ؟ قال : هؤلاء حيوانات ، فقالت الابنة ببراءة : وماذا يفعل هؤلاء الحيوانات ؟ ولم يستطع الأب أن يجيب، وفرَّ من المكان إلى مكان آخر، فوجد مشهداً أقبح من الأول، فأسرع بابنته عائدا إلى الفندق)** [1] .

وبالطبع هذا غيض من فيض ، ومازالت وسائل الإعلام بأنواعها تأتينا من بلاد تلك الحضارة بالعجائب والغرائب مما يعد شاهد صدق على سقوطها ، ومدى تقلبها فى الطين النجس والحمأ المسنون .

2- **التفسخ العائلى :**

ولم يتوقف الأمر عند حد الانحلال الخلقى ، بل امتد وطال – وللأسف- البيوت التى يفترض فيها أن تكون وعاء للعواطف النبيلة ، حيث الأبوة والأمومة والبنوة والأخوة ، لقد طالت المادية والنفعية هذه البيوت ، فقضت على كل المشاعر الجميلة ، والعواطف الرقيقة ، فارتفعت نسبة الطلاق ، وباع الآباء والأمهات أبنائهم ، وتفسخت الأسرة ، حتى قفزت الإحصاءات فى هذا الإطار قفزات مذهلة فى بلد مثل أمريكا ، ففى إحصائية صدرت سنة 1950 جاء مايلى :

نسبة الطلاق	٪6	سنة 1880م
نسبة الطلاق	٪10	سنة 1900م
نسبة الطلاق	٪14	سنة 1920م
نسبة الطلاق	٪20	سنة 1940م
نسبة الطلاق	٪30	سنة1946م

(1) الإسلام حضارة الغد ، صـ35 ،ط1 سنة 1995م ، مكتبة وهبة.

نسبة الطلاق 40٪ سنة 1948م [1]

هذا والزيادة مستمرة ، وهذه الأرقام قديمة بعض الشئ فكيف أصبح الحال إذن فى بداية الألفية الثالثة ؟وقد أصدرت مجلة (**تايم**) الأمريكية عدداً خاصاً سنة 1986م ، تتخيل فيه جوانب الحياة الأمريكية بعد قرن من الزمان ،فقالت في القسم الخاص بالأسرة :

(العائلة الأمريكية التى كانت قبل خمسين سنة فقط صخرة بنت عليها معبدها تحطمت الآن إلى ذرات ، وكل ذرة منها تدور فى فلكها ،والمرأة الأمريكية التى نبذت حياة ربة البيت قبل 15 سنة ، لتبنى مكانتها فى سوق العمل ، هى تحاول الآن إقامة توازن دقيق بين هذه الأشكال الثلاثة المتناثرة ، ويجد الرجل الأمريكى نفسه فى أرض جديدة ومخيفة ، وهو يعمل جاهداً للمواءمة معها ، وحين ينفصل الرجل الأمريكى والمرأة الأمريكية – وهو ما يحدث لنصف المتزوجين هذه الأيام – فيجد الطفل الأمريكى نفسه فجأة مخذولاً ، فينمو بدون أساس يرتكز عليه) [2].

وبالطبع يضاف لذلك ظواهر لا تقل خطورة عن الطلاق ، كظاهرة الذين يعيشون عالة على زوجاتهم ، والظاهرة التى عبث فيها الغرب بكل معانى الأمومة ، حيث ظهر عندهم مايعرف بالأم المستأجرة أو الأم بالوكالة ، وكذلك ظاهرة النفور من الإنجاب ، والإعراض من الأصل عن فكرة الزواج [3].

كل هذه الظواهر تؤكد أن المجتمع الغربى يمضى كله بخطى واثقة نحو هاوية تنتظره ، لا مفَّر له إلا أن يعود الإنسان إلى فطرته التى فطره الله تعالى عليها .

3 – **القلق النفسى :**

عندما يتوفر الترف ، وتتراكم النعم ، وتتكدس الأشياء لدى أمة من الأمم ، فى الوقت الذى تفقد فيه هذه الأمة الهدف الواضح والرسالة المحددة ، فإنها تكون الطآَّمة ،

---

(1) انظر : الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمى ، صـ11 ،د. / عبد الله علوان ، ط2 ، سنة 1988م، دار السلام ، بتصرف.

(2) الإسلام حضارة الغد ،صـ48،د/ يوسف القرضاوى ، مصدر سابق

(3) انظر : نفس المصدر ، صـ 8-64 ، بتصرف.

وتقع الواقعة ، وهذا بالضبط ما يحدث اليوم لدى الغرب وحضارته ، إن كل شئ موجود ميسر ، بل متوافر بأكثر مما يحتاج إليه الناس ، فهذه الوفرة تجعل الإنسان جشعًا وتعيسًا ومريضًا بدرجة السعي الدائم للهروب من الحياة نفسها،نتجية الشقاء النفسي الذي يعانيه،والفراغ الروحي الكبير الذي يسببه عدم وجود هدف واضح ورسالة محددة ومعني يغرس في الإنسان روح الأمل،ويدفعه إلي النشاط والحركة.

(إن هذه البشرية تعاني من الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب ،وتهرب من قلقها النفسي بالأفيون والحشيش والمسكرات،وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، وبالتقاليد السخيفة ،وذلك علي الرغم من الرخاء المادي ،والإنتاج الوفير،والحياة الميسرة ، والفراغ الكثير،لابل إن الخواء والقلق والحيرة تتضاعف كلها كما تضاعف الرخاء المادي والتسيرات الحضارية،إن هذا الخواء المرير يطارد البشرية كالشبح الرعيب، يطاردها فتهرب منه، ولكنها تنتهي كذلك إلي خواء مرير،وما من أحد يزور البلاد الغنية الثرية المترفة بالتيسيرات الحضارية-وفي مقدمتها أمريكا والسويد -حتي يكون الانبطاع الأول في حسه أن هؤلاء قوم هاربون من أشباح تطاردهم؛ هاربون من ذوات أنفسهم ،وسرعان ما ينكشف له الرخاء المادي والمتاع الحسي والإشباع الجنسي إلي حد التمرغ في الوحل ،سرعان ما ينكشف له هذا كله عن الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ الجنسي والقلق العصبي والمرض والجنون والجريمة الشاذة وفراغ الحياة من كل تصور إنساني كريم) [1]

الهروب الكبير:

إن أصدق وصف لإنسان هذه الحضارة إذن ،هو ما وصفه به سيد قطب رحمه الله،وهو أنه إنسان هارب،وليته يهرب من عدو يخشي بطشه،أو وحش يتربص به الدوائر ،إذن لهان الخطب ولكنه-للأسف- يهرب من نفسه التي بين جنبيه ،ويغطي حياته بسحابات من الدخان الكثيف،المنبعث بروائح المخدرات والسموم ،ويستر شقاءه وتعاسته برشفات الخمر حينًا بعد حين ، والإحصائيات فى هذا المضمار توفر أمام

(1) هذا الدين ،ص26،سيد قطب،مصدر سابق.

الباحث أرقاماً مزعجة ، وحقائق تجعل من تمام الإنسانية الشفقة على هؤلاء الهاربين : (**ففى أمريكا فى الأربعينيات عدد مدمنى الخمر سنوياً 42.1 مليون، والذين يتعاطون المخدرات سنة 1975م 19٪ من الشعب الأمريكى ، والذين يتعاطون المخدرات سنة 1978م 49٪ من الشعب الأمريكى ، وعدد مرضى الأمراض العقلية فى أمريكا (750) ألفاً ، ويشغلون 55٪ من جميع أسرة المستشفيات**) [1]. إنه القلق الذى يجعل الحياة جحيماً ، والاضطراب الذى يحول سلام الحياة إلى نار موقدة يصطلى بها هذا الإنسان الحائر القلق المضطرب ، والذى يئول به الأمر فى النهاية إلى العزلة التامة ثم إلى الاكتئاب ، ثم إلى الانتحار ، ويالها من حضارة .

4- **الاضطراب العقلى** :

ولم تقف أزمة الحضارة الغربية عند ماتم ذكره من آثار ، حيث الانحلال الخلقى ، والتفسخ الأسرى ، والقلق المرضى ، بل زاد على كل ذلك – وترتب عليه – من العلل ما يعجل بهذه الحضارة نحو حتفها المؤكد ، وهو التزايد المستمر والمطرد فى أعداد المصابين بالأمراض العقلية والعصبية ، حتى بلغت نسبة المرضى نفسيًا فى السويد – وهى إحصائية قديمة 25٪ من السكان ، وتنفق الدولة 30٪ من ميزانيتها لعلاجهم[2] . أما فى أمريكا فالخطب أشد ، والمصيبة أدهى وأمر ، فقد جاء فى كتاب " **الإسلام ومشكلات الحضارة** " للأستاذ سيد قطب رحمه الله : (**أن شخصاً من كل 22 شخصاً من سكان نيويورك يجب إدخاله أحد مستشفيات الأمراض العقلية بين حين وآخر ....**

ففى كل عام يدخل مصحات الأمراض العقلية ومايماثلها من المؤسسات حوالى ستة وثمانين ألف حالة جديدة ، فإذا استمر عدد المجانين فى السير على هذا المعدل ، فإن حوالى مليون من الأطفال والشبان الذين يذهبون الآن إلى المدارس والكليات سوف يدخلون إلى المصحات عاجلاً أو آجلاً) [3] .

---

(1) الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمى ،صـ14، د./ عبد الله علوان ، مصدر سابق.

(2) انظر : المصدر نفسه صـ18 ، بتصرف .

(3) صـــ 131 ، مصدر سابق .

إن هذه الأرقام المفزعة التى تبين الكم الهائل لصرعى الأمراض النفسية والعقلية تعتبر بحق لطمة قاسية على وجه هذه الحضارة ؛ إذ إنها تحمل شهادة واضحة ، وأدلة دامغة على مدى النقص والعطب اللذين تعانى منهما هذه الحضارة ومدنيتها المعاصرة .

إن الحضارة الغربية حضارة كفرت بأنعم الله تعالى، فكان لابد أن يذيقها الله سبحانه وتعالى لباس الجوع والخوف، مثلها في ذلك مثل القرية التي ضربها الله سبحانه مثلاً حين قال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [1] إن الابتلاء بالجوع والخوف نتيجة لازمة للكفر بنعم الله سبحانه، يقول سيد قطب رحمه الله:(**ويجسم التعبير الجوع والخوف فيجعلهما لباساً، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقاً، لأن الذوق أعمق أثراً في الحس من مساس اللباس للجلد، وتتداخل في التعبير استجابات الحواس، فتضاعف مس الجوع والخوف لهم، ولذعة تأثيره وتغلغله في النفوس لعلهم يشفقون من تلك العاقبة التي تنتظرهم لتأخذهم وهم ظالمون**)[2] .

وهذا ما حدث بالضبط لهذه الحضارة، إنها تتجرع اليوم مرارات الجوع، وتزدرد عذابات الخوف، وتتذوق بكل حواسها معاني الجراح والألم، فلا تكاد تشعر بالأمن، ولا تدرك للسكينة معنى،جزاء وفاقاً، وهاهي الجريمة تنتشر وتتوغل حتى باتت تهدد أمن هذه المجتمعات وسلامتها، بل تهدد بقائها ووجودها، وأمريكا هي النموذج، فقد جاء في مقال بمجلة" **العربي**" الكويتية تحت عنوان:" **على الخوف تعيش أمريكا** " مايلي (**الجريمة تجتاح أمريكا، الجريمة بكل أنواعها، في كل مكان، في المدن، في الريف، في الضواحي الهادئة، في عدد كبير من الولايات الأمريكية، في الشمال والجنوب، في الشرق والغرب، جرائم من كل نوع.. قتل ونهب، سطو واعتداء، سرقات بالإكراه، واغتصاب تحت تهديد السلاح، ومع الخطر المتزايد الذي يهدد حياة الناس في أكبر وأعتى دولة في العالم، انطلقت موجة الإنذار في المدن وضواحيها، أطلقتها أجهزة الأمن**

(1) النحل: 112.

(2) في ظلال القرآن،ج4،ص2199،ط12،سنة1986م، دار الشروق.

بعد الزيادة المخيفة في معدلات الجريمة، طبقاً لإحصائيات مكتب التحقيقات الجنائية.. فقد تعدت الجريمة في أكثر من خمس وعشرين ولاية أمريكية كل الأرقام التي سجلت على مدى السنوات العشر الأخيرة. إن جريمة خطيرة ترتكب كل ثانيتين ونصف، وحادث سرقة كل ثلاث ثوان، وسطو كل عشر ثوان، وجريمة عنف كل 27 ثانية، وسرقة سيارة كل 23 ثانية، واعتداء كل سبع دقائق، وجريمة قتل كل 24 دقيقة)[1] .

إنها لاشك أرقام مفزعة، وإحصائيات مزعجة، تصفع هذه الحضارة على وجهها، وتحط كبرياءها ، وتطعنها في الصميم، وهي دليل واضح، وبرهان فاضح على مدى الفشل الذي لحق بهذه الحضارة، حيث عجزت- رغم كل ما تملك- عن إيجاد الإنسان النموذج، والمثل الحي للبشرية الراشدة، وعجزت قبل ذلك عن توفير الأمن و السلام لمجتمعاتها المترهلة المترفة، فحسبها هذا الفشل مساراً في نعشها، وحسبها كذلك هذا العجز الواضح دثارًا تتدثَّر به حين تزف-قريباً- إلى قبرها، فيهال عليها الثري إيذاناً بنهاية أكبر وهم عاشته البشرية في تاريخها.

الإبداع الحق يخدم الإنسان:

إن هذا الإبداع المادي الذي بلغ مداه في ظل هذه الحضارة، قد تنكَّب الطريق، وأخطأ الصراط، بدلاً من أن يرقى الإنسان فطرة وخصائص ويزكى فيه قيمه وأخلاقياته، إذ به يرقى باحتياجاته، ويوفر كمالياته، ويكدس الأشياء من حوله- وكل هذا لا بأس به- إنما الذي به بأس أن يتم كل ذلك على حساب روح الإنسان وقيم الإنسان وأخلاقيات الإنسان:**(فبينما يتراءى هذا الجيل للناظر في خوارقه الصناعية وعجائبه الكونية وتسخيره للمادة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه كأنه فوق البشر، إذ هو لا يتميز في أخلاقه وأعماله، في شرهه وطمعه، في طيشه ونَزَقه، في فسوقه وظلمه على البهائم والسباع، وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة، إذ هو لا يدري كيف يعيش، وبينما هو قد بلغ الغايات وراء الغايات في الكماليات وفضول الحياة، إذ هو لم**

---

(1) الإسلام حضارة الغد،ص85.د/ يوسف القرضاوي، مصدر سابق، وانظر: الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي،ص13،د/ عبد الله علوان، مصدر سابق، وانظر: أساليب الغزو الفكري، ص236، د/ علي جريشة، دار الاعتصام، بتصرف.

يعرف المبادئ الأولية والبديهات للحياة الإنسانية والمدنية والأخلاق، فتراه يصعد إلى السماء ويناطح الجوزاء وهو لم يتقن شئون الأرض، ولم يصلح ما تحت قدميه، وقد خوَّلته العلوم الطبيعية قوة قاهرة وهو لا يحسن استعمالها كطفل صغير أو سفيه أو مجنون يملك أزمَّة الأمور، ويؤتي مفاتيح الخزائن، فهو لا يزيد على العبث بالجواهر الغالية، والنفائس المخزونة، ويعبث في دماء الناس وفي نفوسهم)[1] .

وهكذا تتفاوت المسافات جداً بين وسائل القوة والترف والرفاهية من ناحية، وبين الأخلاق والقيم و عالم المثل والفضيلة من ناحية أخرى، وكل ذلك إنما سببه هذا الإبداع الحضاري الذي قدمته تلك الحضارة العرجاء، هذا الإبداع الذي لا يمكن أن يسمى إبداعاً حقًا

إلا إذا وضع في خدمة الإنسان، فيخدم خصائصه، ويطور ملكاته، ويحفظ عليه فطرته التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها، هذا ما أراد الله سبحانه خالق الكون وخالق الإنسان،و هذا ما كان يجب أن يتم، ولكن- وللأسف- فإن العكس هو الذي حدث، ومن أجل ذلك لا مناص من التأكيد على أن هذه الحضارة لا تلائم الإنسان.

حضارة تبيع الموت :

أصبح في حكم المؤكد إذن أن هذه الحضارة ضلت طريق الإصلاح،وأخطأت الهدف المنشود، ولم يعد عند أربابها رغبة في الخير، حيث زادتهم العلوم والمخترعات عتواً وضلالاً، وكما تتحول الأطعمة الطيبة والأغذية الصالحة في الجسد المريض إلى سم قاتل وداء فتاك، هكذا تقودهم هذه المخترعات والآلات بسرعة البرق إلى الهاوية، حيث الانتحار والدمار، وما سباق التسلح عنا ببعيد،و ما خبر القنبلة الذرية التي ألقيت على اليابان بواسطة أمريكا-رسول السلام ورمز الحضارة-كذلك ببعيد، لقد تفتق عقل هذه الحضارةعن أدوات فتك لم تعرف لها البشرية في سالف عهدها مثيلاً، يقول جارودي:**(لقد جعلنا العلم والتقنية أسياداً وملاكاً للطبيعة؛ بمعنى أننا نملك اليوم القدرة على تدميرها، أسفرت قنبلة هيروشيما في لحظة واحدة عن 70 ألف قتيل،**

(1) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،ص28، أبو الحسن الندوي، مصدر سابق .

الأمر الذي يعتبر تقدماً تقنياً لا يقبل النقاش، بالنسبة لجنكيز خان الذي لزمه سبعة أيام من أجل إقام هرم من 100000 جمجمة فقط عندما استولى على أصفهان، تملك القوى النووية مخزوناً يوازي أكثر من مليون قنبلة هيروشيما، بمعنى القدرة التقنية لتدمير سبعين مليار كائن بشري، وهذا العدد يمثل اثنتى عشرة ضعفاً من العدد الموجود بالفعل على ظهر الأرض، أي القدرة على إزالة كل أثر للحياة) [1] .

إنه الدمار والهلاك والموت، علماً بأن ذلك كله كان تقريباً في النصف الأخير من القرن المنصرم، بينما تؤكد الحقائق اليوم أن هذه الحضارة تملك في هذا المجال- مجال الدمار والموت والخراب- ما هو أشد وأنكى-بل تملك ما لا يخطر على عقل بشر في عالمنا، وسوف تؤكد الأيام ذلك، الأمر الذي يعطينا انطباعاً واضحاً عن هذه الحضارة، وهو أنها حضارة تبيع الموت والدمار، وأنها تقود البشرية إلى الهلاك والانتحار، ومن ثم لم تعد تصلح لقيادة العالم نحو شواطئ الأمن ومرافئ السكينة، ويجب عليها أن تلازم فراشها محجوراً عليها حتى يأتي أجلها وهي على ذلك، أوتعجل هي بنفسها إلى الموت فتريح وتستريح.

حضارة في الاحتضار:

من أجل كل ما سبق من مبررات، وما تقدم ذكره من مسوغات، يجب أن ندرك الحقيقة الكبرى ونعيها، وهي أن هذه الحضارة التي تبسط سلطانها اليوم على المعمورة،هي حضارة القشور والمظاهر، حضارة الوهم والسراب، حضارة البريق والخداع، وهي في كل أوصافها تلك لا تلائم الفطرة، ولاتنفق مع طبائع الأشياء، ومن ثم فهي تحمل في داخلها جرثومة فنائها، فهي اليوم تحتضر، وعما قريب سوف تزف إلى قبرها؛ لأن الخواء ينخر في روحها، والعلل تعربد في جسدها، حتى اختنقت في ظلها روح الإنسان، وذبلت قيمه، وضويت خصائصه،بينما يتكدس من حوله المتاع، وتتراكم أسباب اللذة، ويجد الجانب المادي فيه كل ما يطلب، بل أكثر مما يطلب، ولذلك فإننا على يقين من أن تنبؤات إقبال رحمه الله واقعة لا

(1) (**حفارو القبور**) ، ص98، ط3، سنة2000م، دار الشروق.

محالة، حين قال يصف هذه الحضارة ويتنبأ بمستقبلها:(**إنها حضارة شابة-بحداثة سنها، والحيوية الكامنة فيها- ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت، وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر وتقتل نفسها بخنجرها،ولا غرابة في ذلك،فإن كل وكر يقوم على غصن ضعيف، ليس له استقرار، إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار، وجدرانها من زجاج لا تحتمل صدمة**)[1] .

انتهى دور الرجل الأبيض:

وبما أن هذه الحضارة ترقد اليوم على فراش الموت وتعاني سكراته،فإن إنسانها كذلك، ورجلها الأبيض أصبح مفلساً تماماً من كل قيمة،صفراً من كل خلق، يفتفد حتى معنى الإنسانية التي ينتمي إليها، ومن ثم أصبح في حكم المؤكد أن دوره في القيادة والتوجيه قد انتهى، ولم يعد عنده ما يمكن أن يقدمه للبشرية في جوعتها الروحية، ونهمها إلى مجموعات من القيم تجعل لحياتها معنى، ولبقائها قيمة، ولوجودها هدفًا وغاية، ومن أجل كل ذلك، كان سيد قطب رحمه الله صادقاً بعيد النظر، مشرق الروح، يستشرف المستقبل حين أطلق هذه الصيحة:(**لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض؛ لأن حضارة الرجل الأبيض قد استنفدت أغراضها المحدودة القريبة، ولم يعد لديها ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقين، النمو والترقي للعنصر الإنساني، وللقيم الإنسانية، وللحياة الإنسانية**)[2] .

تلك الحقيقة التي ينبغي أن يسلم الجميع بها، لقد أدت هذه الحضارة دورها، وأخذت من التقدير والإعجاب حقها- بل أكثر مما تستحق- وآن لها أن تسلم الراية لحضارة أخرى، حضارة تحمل تصورات أخرى، وقيماً أخرى، حضارة تحترم في الإنسان إنسانيته، وتؤمن به مخلوقاً مكرماً، مكلفاً له خصائصه، وله طبيعته، وله فطرته، وله في الكون كذلك منزلته ومكانته.

---

(1) نقلاً عن: الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية ،ص85،أبو الحسن الندوي، مصدر سابق.

(2) المستقبل لهذا الدين،ص48،سيد قطب،ط6،سنة1983م، دار الشروق.

وأخيرًا .... كلمة

إن الإنسان- كما تقرر- لا تتوقف حاجته عند الطعام والشراب، ولا تنحصر احتياجاته كذلك في اللباس والمتاع، بل إنه يظل دائمًا في حاجة إلى ما هو أعلى وأرقى، بل إلى ما هو أخلد وأبقى، إنه في حاجة إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام يمسك معوله فيحطم الأصنام، أصنام اللذة العابرة، والمتعة الرخيصة، أصنام الخوف والجريمة، أصنام الغطرسة والاستعلاء، أصنام الهوى والشهوة؛ ليطفئ نيران هذه الحضارة التي أحرقت الناس، ويحول نارها تلك إلى برد وسلام، إنه في حاجة إلى نبي الله موسى عليه السلام لتعليمه أسباب القوة، ولكنها القوة التي تخدم الحق، لا القوة التي تقوم على مبدأ البقاء للأقوى، وهو المبدأ الخاطئ الذي يجب أن تعاد صياغته ليصبح هكذا:البقاء للأتقى فإن لم يكن هناك أتقى فالبقاء للأقوى، إنه في حاجة إلى نبي الله عيسى عليه السلام؛ ليرطب جفاف الروح ويرقق غلظ القلب، ويغسل عن نفس الإنسان

كل الأدران التي التصقت بها، فيعيد للنفس الإنسانية صفاءها ونقاءها وأمنها وسلامتها،إنه في حاجة إلى نبي الله محمد ﷺ، بوحيه الخاتم ورسالته العامة؛ ليقود زمامه، فيرده عن غِّيه، ويضبط خطوه، ويصحح مساره، فيقيم البناء المتهدم، ويتمم الجدار الناقص باللبنة الأخيرة، الملائمة لفطرة الناس، وطبيعة الإنسان،هذا ما يحتاجه الإنسان اليوم ولا وجود له إلا في بديل واحد، بديل يملك كل مقومات الإصلاح، ويتمتع بخصائص لا تتوافر في غيره، فما هذا البديل؟

وما خصائصه؟

هذا ما ستكشفه الصفحات التالية في الفصل الثاني إن شاء الله عز وجل.